[270] الأشاعرة لأنهم يقولون: أراد ا الكفر من الكافر وأراد أن يقال له " ثالث ثلاثة " بناء على ما تقرر عندهم من أنه تعالى أراد كلما له حظ من الوجود وإذا أرادهما فقد أحبهما (1) ورضيهما، لأن حبه تعالى للشئ ورضاه عبارة عن الإرادة، كما صرحوا به في كتبهم وصرح به أصحابنا أيضا. ومن ثم قال ابن قيم الحنبلي وابن هشام على ما نقل عنهما شارح كشف الحق أن هؤلاء - يعني الأشاعرة - يقولون: إن كل ما شاء ا وقضاه فقد أحبه ورضيه، ولما رآى جماعة المتأخرين منهم شناعة هذا القول وقبحه حاولوا التحرز عنه فقال بعضهم: إرادته تعالى بجميع الأشياء حتى الكفر وغيره عبارة عن تقديرها، وتقديره للكفر لا يوجب أن يحبه ويرضاه. وقال صاحب المواقف: الرضا عبارة عن ترك الإعراض وا [لا] يريد الكفر ويعترض عليه ويؤاخذ به، ويؤيده أن العبد لا يريد الآلام والأمراض وليس مأمورا بإرادتها وهو مأمور بترك الاعتراض عليها. والجواب عن الأول: أن الإرادة لم تجئ لغة ولا عرفا بمعنى التقدير ولم يصطلح عليه سوى هذا القائل ولهذا لم يتمسكوا في دفع هذه الشناعة عن أنفسهم بهذا القول مع أنه لا ينفعهم أصلا لأن أفعال العباد كلها مخلوقة له تعالى عندهم ولا معنى لخلق الفاعل المختار لها بدون إرادتها فالقبح بحاله. والجواب عن الثاني من وجوه: الأول أنه لم يثبت في اللغة ولا في العرف أن الرضا عبارة عن ترك الاعتراض بل الثابت فيهما أنه عبارة عن الإرادة وبذلك يشعر كلام ابن قيم في شرح منازل السائرين وكلام الآبي في كتاب إكمال الإكمال وكلام بعض شراح نهج البلاغة حيث قال: المحبة إرادة هي مبدأ فعل ما، ومحبته تعالى للشئ إرادته، والرضا قريب من المحبة ويشبه أن يكون أعم منها، لأن كل محب راض عما أحبه ولا ينعكس، وقد قيل: إن الرضاء على ما يقتضيه القرآن مستلزم للإرادة أو إرادة مخصوصة ولعل تلك الإرادة المخصوصة هي التي ذهب إليها بعض الأصحاب من أن الرضا إرادة متعلقة بالأمور الحسنة من حيث هي كذلك، الثاني أن إرادة الكفر من شخص والاعتراض عليه قبيح بحسب العقل، فلا يصح إسناده إليه تعالى، الثالث أن ترك الاعتراض يتحقق في المباحات

---

1 - قوله: " وإذا أرادهما فقد أحبهما " قد تبين مما مر سابقا أن هذه المعاني التي تدل على التأثر والانفعال لا يجوز إثباتها تعالى فإن ذاته تعالى برئ عن الانفعال فالارادة والحب والرضا جميعها منفية عنه تعالى بمعناها الحقيقي وإنما يثبت له بالتأويل وبإثبات بعض لوازمها الممكنة كما في تأويل الغضب بالعقاب والرضا بالثواب، وحينئذ فإذا نظرنا إلى أنفسنا لتحقيق المعنى الحقيقي فينا رأينا أن الارادة والمشيئة فينا غير الحب والرضا، مثلا الحجامة

والأدوية البشعة نريدها ونشر بها بإرادتنا ولا نحبها ولا نرضاها، واما بالنسبة إلى ا تعالى فلا يتصور أن يكون بعض الأمور كذلك بمعناها الحقيقي لكن بالتأويل بأن يعامل مع بعض الأشياء معاملة المراد المكروه كخلق إبليس وساير الشرور فإنها مرادة بالعرض وخلقها ا تعالى، لأن الخيرات العظيمة لا تنفك عن الشرور القليلة وترك الخير الكثير للشر القليل شر كثير. (ش) (*) _____